انما فعلنا بهم ذلك لانه لم يظهر لنا صدقهم اذ قلوبنا غلف اي كانها مغشاة بالغلاف فقال الله
ليس كذلك بل لانهم لعنهم الله بكفرهم فكان كفرهم علة فانهم اكده الله باللعن فقليلا ما
يؤمنون حتى بموسى الذي زعموا الايمان به وكيف يهون عذابهم على تكذيبهم بهذا النبي
لو هان على تكذيب من سبق وقد كملت معرفتهم به وعنادهم معه وحسدهم عليه وذلك
لانهم لما جاءهم كتاب علموا انه من عند الله لاعجازه وقد تاكد بكونه انه مصدق لما معهم
من كتاب الله من غير ان يكون للمنزل عليه به خبر قبل نزوله وكانوا من قبل معترفين
بنبوته وفضله على ساير الانبياء اذ كانوا يستفتحون اي يطلبون النصر به على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا قبل مجيئه بما ذكر في كتابهم وبعده بمعجزاته سيما القولية
المصدقة لما معهم كفروا به عنادا وحسدا فكيف يخفف في حقهم العذاب ويجعل اياما معدودة
فلعنة الله على الكافرين كلهم سيما من كفر عنادا وحسدا فانهم بئسما اشتروا به
انفسهم ان يكفروا بما انزل الله اي بئسما باعوا به حظ انفسهم الاخروي اذ باعوه
بالكفر بما انزل الله لا ريب فيه بل بغيا اي عنادا مع الله كراهة ان ينزل الله
من وحيه الذي هو من فضله على من يشاء من عباده سيما من راه افضاله دونهم فعاندوا
الله فباءوا بغضب عظيم من الله على عنادهم معه وتحكمهم عليه على غضب على كفرهم باياته
ورسله ونقضهم مواثيقه فكيف يكون عذابهم هينا واياما معدودة كيف وقد اذلوا
بالقتل والتكذيب من اعزهم الله بالتصديق فلاجرم يكون للكافرين عذاب مهين
لا يتبدل بالاعزاز بعد ايام معدودة ولا بالتخفيف ويدل على ان كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
انما كان لحسدهم على انزال الكتاب على غيرهم وهواهم انهم اذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
اي بكل ما انزله قالوا نؤمن بما انزل علينا احترازا عن المنزل على غيرهم كراهة انزال الله
على الغير وحسد المنزل عليه ويكفرون بما وراءه مع تحقق الموجب للايمان فيه وهو انه
الحق في نفسه وكونه مصدقا لما معهم من الكتاب الذي يؤمنون به قل ان صح ايمانكم
بالتورية وقد تضمنت ميثاق الايمان بكل نبي فما لكم لا تؤمنون بالانبياء وان منعكم
التمسك بالتورية عن الايمان بنبي تنسخ بعض احكامها فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين اي ان صح دعواكم فنعلم انكم لا تؤمنون بها ايضا ثم اشار الى ان
كفرهم لم يتأخر الى عصر الانبياء الذين قتلوهم بل كفروا في عصر موسى بما هو اشد منه
وذلك انه لقد جاءكم موسى بالبينات الدالة على تخصيص الله بالالهية والعبادة له ثم
اتخذتم العجل الها معبودا من بعده اي من بعد تقرره عندكم ولا بعد منكم اذ انتم ظالمون اي

عادتكم

عادتكم الظلم كقولهم سمعنا وعصينا حين رفع عليكم الطور وذلك اذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة تتحملون بها المشاق واسمعوا كل ما نقول لكم بلا
يفوتكم شي من ذلك قالوا سمعنا وعصينا وانما قالوا عصينا في تلك الحالة لانهم
اشربوا اي تداخلهم حب العجل تداخل الشراب في اعماق البدن فاستقر في قلوبهم
العجل بكفرهم ان كان قولكم عصينا واشراب العجل صادرا عن ايمانكم بئسما يأمركم به
ايمانكم من هذه القبائح وغيرها مما ذكرنا ان كنتم مؤمنين اي ان صدقتم في دعوى الايمان
بالتورية قل ان كان كفركم بما وراء التورية لزعمكم انه لم ينزل بعدها كتاب لكانت لكم
الدار الاخرة خالصة وان كانت لكم الدار الآخرة عند الله سيما اذا كانت خالصة
لا بمعنى اختصاصكم بارفع الدرجات منها بل من دون الناس اي مجاوزة عنهم لكان
الموت احب اليكم وان علمتم انه يحصل لكم بالحيوة اعمال رافعة للدرجات الا انه
يتأخر بها الوصول الى المحبوب وبالموت يحصل بسرعة والانقطاع عن المحبوب اشد
وان علم انه يحصل بعد مدة الكل فلو تحقق عندكم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في
هذه الدعوى وحصل لكم متمناكم لانه موعود به عند التمني قال عليه السلام لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي ولن يتمنوه ابدا
اي مادامو في هذه الحيوة لعلمهم انه يحصل به متمناهم واذا حصل جازاهم الله بما قدمت
ايديهم اي كسبته انفسهم اطلقت على العامل الة اكثر الاعمال مجازا وهو من الاخبار
بالغيب اذ لو تمنوا بالقلب لاظهروه باللسان دفعا للمقالة ولو اظهروه لاشتهر
وكيف لا يجازيهم مع ظلمهم والله عليم بالظالمين فهم وان لم يتمنوه يميتهم الله ثم يجزيهم
واشار الى ان تمني الموت لا يصير محبوبا لهم وان تركوا طبعهم فقال ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة اي نوع من الحيوة وهي المتطاولة مع الرفاهية وزاد حرصهم
على الكل حتى منهم من لا يعرف الاخرة من الذين اشركوا وقد بلغ من حرصهم انه يود
احدهم لو يعمر الف سنة وان علموا انه لا يبقى للمسن شي من القوى ولا ينتفع بعيشه لبعثهم
لكنهم يتباعدون بذلك من العذاب وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر اي وما التعمير
يبعده من العذاب وان بلغ ان يعم مدة الدنيا لانها وان طالت فهي قريبة وهو
يزداد بالتأخر معصية فلا يعد تبعيدا وانما التبعيد الحقيقي ما يفيد تخفيفا والله بصير
بما يعملون فلا يخفف عنهم بل يزيدهم بزيادتهم اعمالهم لو قالوا ان نكفر بما وراء التورية
لانه نزل على غيرنا بل لانه نزل به عدونا وهو جبرئيل كما قالوا لعمر رضي الله عنه حين دخل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)